

ليلي المريضة بالعراق

للدكتور زكي مبارك

- ١ -

أخي الأستاذ الزيات

تحيتي إليك وإلى السامرين في نادي الرسالة من كرام الأصدقاء .
وتحيتي إلى القاهرة التي لا تقع فيها العين إلا على نجم أزهري أو
كوكب ملاح . وسلامي على مصر الجديدة وعلى سنتريس . ولو
شئت لسمت على مكتب تفتيش اللغة العربية بوزارة المعارف حيث
يجلو الجدل ويطيب الضجيج !

وبعد فإنك تعرف كيف رحلت إلى بغداد . أنت تذكر
ولا ريب أن حكومة العراق طلبت أستاذاً للأدب العربي بدرجة
دكتور ؟ وتذكر أن وزارة المعارف المصرية فهمت أن الترض
من ذلك مداواة ليلي المريضة بالعراق . وقد صرح بهذا حضرة
ساحب العزة الأستاذ عوض إبراهيم بك ؛ وكان من المفهوم أنه
لا يصلح لهذه المهمة غير مؤلف مدامع المشاق !

تلك هي الأسباب التي قضت برحيلي إلى العراق ، ولولا
ذلك لبقيت في القاهرة أحارب من أحارب وأسالم من أسالم ،
وفقاً للثوق والطيش ، وطاعة لصديقنا الشيطان !

ولا أستطيع أن أصف كيف كانت الأيام التي سبقت رحلي إلى
العراق . فقد قضيتها في درس الطب النفساني والروحاني ، وزودت
عقلي بأنهم ما يعرف أقطاب العلم الحديث ، من أمثال الدكتور
معجوب ثابت ، والدكتور محمد عبد الحى ، والدكتور منصور
فهمي ، والدكتور طه حسين

ولم يفتني أن أستفتي بعض المولعين بدرس المشكلات النرامية
كالأستاذ محمد الهراوي ، والأستاذ محمد مسعود ، والوسيفار
محمد عبد الوهاب

وكان في النية أن أستفتي بعض الأقطاب من علماء الأزهر
الشريف ، ولكن ضاق الوقت عن ذلك

وجاء يوم الرحيل ، والتفت فإذا محطة القاهرة تموج بمدد

كبير من كرام الأصدقاء ، وكنت أظنهم جاءوا مودعين ، ثم
دهشت حين رأيتهم لم يجيئوا إلا ليحتملوني التحية إلى ليلي
المريضة بالعراق !

وعند ذلك عاهدت نفسي وعاهدت الواجب أن أكون عندما
يرجو المصريون والمراقيون من الظن الجميل . ولم يكد القطار
يربح محطة باب الحديد حتى أسلمت خيالي إلى مغريات الأحلام .
ولما وصلت إلى بيروت رجاني بعض الأدباء أن أقيم أسبوعاً في
ضيافة لبنان فأبيت وقلت كيف أتلبث في الطريق والواجب يدعوني
إلى عيادة ليلي المريضة في العراق ؟ وكذلك كان حالى حين وصلت
إلى دمشق ، فقد رجاني الأستاذ كرد على والأستاذ عبد القادر
الغربي أن أقيم مدة بالشام في ضيافة الأكرمين من أهل تلك
البلاد ، فأبيت وقلت كيف أتمهل في الطريق والهوى يدعوني إلى
موافاة ليلي المريضة بالعراق !

ثم قضيت أربعاً وعشرين ساعة في الطريق من دمشق إلى
بغداد . ولا تسلى كيف قضيت تلك الساعات الطوال ، فقد كانت
الساعة كألف سنة مما تعدون بسبب الفلق على ليلي المريضة بالعراق
ولما وصلت ألقيت أمتالي في الفندق ، ومضيت بسرعة البرق

إلى وزير المعارف ألتقي تلميذاته فيما يختص بذلك الروح العليل
ستمضى الشهور والسنون ولا أنسى كيف لقيت وزير المعارف
في العراق ، فقد بدا رجلاً شاعراً لا يهيمه غير الاطمئنان على
ليلي المريضة بالعراق

وجلست فتحدثت معه في كثير من الشؤون ، ولكنه لم
يفتح الحديث عن ليلي ، فأخذ مني العجب كل مأخذ ، وخشيت
أن تكون « قصة » ليلي قصة مخترعة ، وأنتى كنت مخطئاً حين
صدقتها من كبار الأطفال !

وذهبت إلى دار المعلمين العالية فأعطاني المدير جدولاً يقصم
الظهر ، وهو دروس في الأدب وفقه اللغة وتفسير القرآن ، وليس
فيه أية إشارة إلى مداواة ليلي المريضة بالعراق . فتأكدت مرة
ثانية أن قصة ليلي من اختراع الخصوم الألداء الذين أرادوا أن
يستريحوا مني فزينوا لي الرحيل إلى العراق

ثم خطر بالبال خاطر طريف ؛ فقد حدثتني النفس بأن مرض

وعندئذ ينفجر الرجل بالبكاء ويقول : إن ليلى لا تزال مريضة بالعراق ، ولكن العراقيين يتجاهلون ذلك ، لأنهم في هذه الأيام مرضى بالجد والنشاط ولا يحبون أن يعرف أحد أنهم أهل وجدان . ولا تعجب إن كتم عنك رجال المفوضية المصرية أخبار ليلى ، فهم قوم دبلوماسيون لا يرون الخروج على الوفاق الذي تصطنعه حكومة العراق

وما أكاد أسمع هذا حتى أجذب الرجل من ذراعه وأمضى به كالمجنون لأعرف كيف حال ليلى ، وما هي إلا لحظات حتى تقف السيارة على بيت متواضع في شارع العباس بن الأحنف ، أحد شوارع بغداد ، وأطرق الباب برق كاشئ على ميماد ، وتخرج وصيفة فتقول : « من الطارق ؟ » فأقول : « أنا الدكتور زكي مبارك » فتقول : « أدخل بسلام ، فإن ليلى تنتظرك منذ ستين »

زكي مبارك

للحديث بقية

ليلى لا يهم أهل العراق ، وإنما يهم المصريين ؛ وإذن فلا بد أن تكون المفوضية المصرية على بينة من هذه القضية . فأخذت عربية ومضيت إلى هناك فوجدت رجال المفوضية لا يعرفون شيئاً عن ليلى المريضة بالعراق ، وأن هذه القصة من أوهام الشعراء وكذلك عرفت مرة ثالثة أن تلك الحكاية لم تكن إلا خداعاً في خداع

قضيت الأسبوع الأول وأنا في همهم مُقِمِد مقيم . وهل كان يموزني أن أدرس الأدب وفقه اللغة والتفسير ؟ هل ضاقت معاهد القاهرة عن رجل مثل حتى يرحل إلى العراق ليكون أستاذاً للأدب في مدرسة عالية ؟ إنما كنت أرجو أن أودي رسالة محجز عنها الزيات والسنهوري وعزام ، ثم قضى الحظ العائر أن أكون رجلاً « عبيطاً » لا يدرك وجه المحال ، في أحاديث الرجال

وفي الأسبوع الثاني تلقيت رسالة من القاهرة : رسالة من الأنسة جيمي التي ملكت نهائياً حيناً من الزمان ، وهي تسأل وتتلخ في السؤال عن ليلى المريضة بالعراق . وللآنسة جيمي حقوق ، فقد كانت أوهمتني في السنين الخالية أن الهوى إليه مبعود ؛ وبالرغم من تجسّسها في الأيام الأخيرة فقد أحسنت أن إشارتها أمر يجب أن يطاع . ومثّيت نفسي برضاها في الليالي القبلات ، حين يسمح الدهر بمسامرة الأنجم الزهر على ضفاف النيل . فهل تراني أعيش إلى ذلك المهدي يا صديقي الزيات ؟ وهل أعاقر الهوى من ذلك الرصاب بعد أن تدول دولة العراق ؟

ولكن ماذا أصنع ؟ هل اخترع قصة جديدة عن ليلى المريضة بالعراق أصبل بها إلى قلب الأنسة جيمي ؟ وكيف وأنا رجل لا يجيد اختراع الأقاصيص ؟ وممشوقتي تميز بين الصحيح والمزيف من أحاديث الوجدان ! رعاك الله يا جيمي وأراني وجهك الجليل ؟

ما أعجب ما تصنع المقادير ! هذا رجل يسأل عني بالتليفون تسع مرات في كل يوم ؛ وها هو ذا ينقلني بسيارته إلى منزله الفخم بالكاظمية ، ويسألني كيف وجدت ليلى ، فأتضحك وأنا محزون ، وأقرر أن ليلى اسم اختراع العاشقون من الشعراء ؛

مطبوعات

لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الشهر

الترن	اسم الكتاب
٠١٨	أخبار أبي تمام للصولي
٠٢٠	أصراء البيان للأستاذ محمد كرد علي في جزئين
١٥٠	النقض في المواد المدنية والتجارية للأستاذين حامد فهمي ومحمد حامد فهمي
٠١٥	الطرائف الأدبية ويشتمل على جملة دواوين شعراء لم يسبق نشرها منها دواوين الصولي والمختار من دواوين المتنبي والبحترى وأبي تمام للإمام عبد القاهر الجرجاني

وتطلب هذه الكتب من اللجنة بدارها رقم ٩

بشارع الكرداسي ببغداد ومن المكاتب الشهيرة